

على نهر التاجية بين الخطاظر والأطلال

□□ هاهي الاندلس .. يا ابن فلسطين .. فانظر ما جنته الأهواء على المسلمين !
واحسرتاه ! اطلال من اسماء عربية شوحتها لُكِّتْهُ الفلاحين البرتغالية ..
ومخايل من وجوه وإزياء كانت ذات يوم إسلامية .. يقولون لك كل ما ابتدء من
اسماء المواقع بحرفي . الف . فهو عربي الأصل . وذلك ممكن المتابعة في الاعلام
سواء اكانت لاسر او مدن . كما بقيت اسماء خالية من التحلية باداة التعريف
□□ ولكنها عربية الحروف اعيت على التبديل والتحريف

بقلم : أحمد العناني

وهاج فوق الأرض ربح قاصف . واغبرُ
الأمق .. وتحركت فوق الجبال دكناه كلون
الرصاص المصهور .. وأربد وجه النهر
واصطفق فوق موج كالتلال يرغي ويزيد ..
وخيل إلي أولعني رايت منادياً اسمعه بعد لاي
من شدة الرياح العاصفة ..

يا ابن فلسطين .. ما الذي جاء بالعرب
المترققين .. المحاويج المساكين فاحلهم
موطن الاسراء في القدس . وجنة الدنيا في
الغوطة . وواحة النيل في مصر . ووطن
الفينيقيين في قرطاج . وأرض البربر
البهاليل المساعير في جبال اطلس .. ثم
حملهم على المضيق إلى حدائق
الاندلس ؟

الم يكن هو الاسلام ؟ احصل نظير ذلك في
التاريخ ؟
الم تكن تلك قدرة الله ما شابهتها في الأرض
قدرة ؟
اليس بالاسلام وصلتم . ورسالته تلك
التي حملتم ؟

الم تكن القارب الذي به خضتم عباب البحور
فاستعسى برحمة الله على الفرق !!
آه رمي إذ رميتم فاصاب ام انتم رميتم ؟
اليس بالقرآن وسنة نبي الاسلام حكتم
فعدلتم . وامرتم ونهيتم ..
الم يُلَغ لسانه العربي السنة شعوب
عريقة فاصبحت تتباهى الامم بلغتكم ..
انتم حقلتم تلك المعجزات ام شريعة الله
حقلتها لكم ؟

منهزمين من فتى الجهاد الاسمر وسيوف
قصيرة مع عشرة آلاف من البهاليل .. حرقوا
السفن وجازوا يلتمسون الموت صادقين . فعنت
لهم الحياة . واصغت الدنيا مذهولة بجبروت
الحق في عهده الجديد !!

اليوم يا نهر التاجية أمر بك مشرداً من
فلسطين . كما تشرد بالأمس من حولك
الملايين ..

كان ما حولك من حضارتنا فرع الشجرة .
فلما انقصف كلبزت قرابة خمسمائة سنة . ثم
سرى الجفاف فيها حتى اوشك يهدد الجذور .
وما نحن طلائع المنقهرين من تلك الجذور ..
فأما ولف أو لاي فلسطين .. تساوى
حاضرهم بغابر الاندلسيين !

تعال حدثني يا نهر التاجية عن صروف
الايام ومواعظ السفين .

ايها الشاهد المحايد الذي شهد الافراح
والاقرح معتصماً بعزلته في مجراه الأمين ..

حدثني فقد وصل إلى العظم السكين .. لم
يبق غير منوى الرسول والحرم الأمين .. قل لي
متى تعود .. فتورق جذور هذا الدين ؟

اطلعت الدنيا بهجران القرآن . فهل يزول من
الوجود اليقين ؟

وماذا يحل إذا غاب الاسلام
بالمستضعفين ؟

إلى ماذا ينتهي الحال بالبحارى في الأرض
والمظالم المرؤعين ؟

تعال ويحك .. انطق .. يُح .. تكلم .. اممس
في اذني .. أوح لي .. ارحم لهفتي .. اراف بي
ويتشردني .. حدثني وقل لي ..

ولكنني اشم في الجو غيق آخر . وأسمع
في هينمات الغصون . وترانيم الينابيع
اصواتاً اخرى .. وارى من خَلل الدموع
اشباح طارق والدّاخل والتّاصر الله ..

الله .. يا ابن فلسطين .. ههنا اموات
كاموات نشرت عنهم الاكفان . ونالهم من
الابناء الخذلان .. وطوامم في الأرض التي
عاشوا حُلُومها ومرّما أمر الواحد الديان ...

واها لك نهر التاجية .. اما من حديث
يفك من اسرارك طلاسم هذه الاشباح
التي تهيجها في خيالي . وتحيلها جراحاً في
صدري . واختناقاً في لهاتي . وتمتمات

طفل جاز عليه ابوه في يوم عيد . فما له
من شان غير حزن ينهته في زاوية
قصية ..

ويحك يا نهر التاجية .. اني ارى حقاً اشباحاً
مطلسة شهدتها انت ذات يوم حقائق مائلة ..
الم تكن هكذا تهول في خريف عام
سبعمائة واثنين وثلاثين كما تهول في مجرك
الآن امام عيني في هذا الخريف من عام الف
وتسعمائة وواحد وثمانين .. مذعورة
سطوحك من هبوب الرياح . منزعة من
ملاسمات الغصون كلما غنت لرياح الغرب
المهتاجة فتدلت تعانق امواجك المضطربة ..

الم تسمع في ذلك العام بما جرى في شريش ؟
الم تر سحاب الدخان من سفن طارق ؟ الم يمز
بك فلول مائة الف فارس من القوط ودارع .



● تعبيد مسلمي غرناطة وإجبارهم على اعتناق النصرانية . (صورة من كاتدرائية غرناطة) ●

لا ادري إن كان - شعب بؤآن ، الذي اطلق لسان المتنبي بواحدة من أروع قصائد الوصف العربية هو دون هذه الجنة المسحورة أم يضارعها ؟

ونصل على الطريق إلى ما يسمونه بـ « القبسية » ، أو لعلمها « الكبيسة » ، كنيسة هائلة في فسحة من الأرض مستخلصة من أيدي الغابة المحيطة بالمكان .. وجنات من الاعناب والتين والزيتون ، ناهيك عن شجر البلوط والفلين وغيرها ..

يا للحسرة .. واضح لكل ذي عينين أن المكان عاش كنسجد كبير قبل أن يتحول إلى ما هو عليه الآن ..

ومن قبل ما لاحظت مظاهر عديدة في البلد حملتني على يقين مطلق بأن البلدة كانت بكاملها من المسلمين اضطروا للموادعة والبقاء في بلدهم إلى التخلي عن دينهم أمام مجتمع برتغالي في أقصى درجات التعصب .

وكان يوماً بكى فيه القلب .. ولأول مرة احساسني أنني محظوظ أن لا أكون قد رايت قصور الزهراء أو موقع غرناطة فإن القليل من تلك المشاهد يحطم القلب .. فكيف بالكثير الكثير ..

تهوي إلى كل منزل ، والجامعة قائمة فلينقطع الشباب للعلم ، ويسع المتفحون من فرنسا وغيرها إليها عسى أن يخرجوا من بربرية جاهلية يعيشونها .

والحمراء حالية زاهرة تضم بين حناياها أعاجيب الدنيا ، تبهر الأنظار بالأبهاء المرمرية ، وتبعث النعاس من خريص سباعها المقلعة النفاثة .. وابن زيدون يجيل نظر الحزين على الوادي الكبير عيشاً يساهر عُصب النجوم يستقرنها أخبار ولادة ، فإذا أعيا الجواب وخان الصبر وعربد الغضب استحال ذلك أنيناً شعرياً ، إهابه من البللور ، ونسجه أرق من نسج الحرير ، يناجي خيبة العاشقين إلى نهاية الدهور ..

آه يا نهر التاجه .. حدفني عن خيل المعتمد ..

الم تكن من ناحيتك الأخرى .. هناك في اشبيلية .. تصهل اختيلاً بأعراس الرميكية .. وكان لها قبل أن تشقى حافية على اديم الصحراء في أغمات قصور هنا على ضفافك ودور ..

ثم عصفت رياح القدرة فاصبح لحن العز ، لحن الجنازة ..

والتوت بالقصور ريح الصبا والذبور .. فصارت للغربان مسرحاً ومراحاً ..
الله .. اي شيء هذه البحور الخضراء حيث لا سبيل لشعاع واحد من الشمس فوق درب الظليلة التي تتلطف فوقها سيارتنا إلى كوينبرة حيث توجد أقدم جامعات البرتغال .

ثم استمالك السلب ، وأترتم على رضى الله الغنائم ، فتوقفت واضطربتم ثم تخالفتم فتنافرتم ، وعدتم إلى عصبية رعناء تفاخر بالأباء دون التقوى وتصلبها الأهواء وحب الدنيا .. وإذا ما دخلت الدنيا إلى القلوب طارت عن اشجارها طيور الهداية ..

فها انتم اولئك عدتم بعضكم يضرب رقاب بعض ، فتلك قيس وهذه يمن وهذا عدنانى لا يزكو ثمره عند قحطاني ..

الم تكن تلك ردة عن الله أمهلت وطال إمهالها ولكنها لم تهمل ؟

آه يا نهر التاجه كم ربع عمرناه بالحق ، وقنديل أضاناه للهدى ..

كم علم رفعنا لواء فهنا .. كم سيف شهرناه ، وكم ضيف أقريناه .

وكم عثرنا وكم شدنا .. كم وإد سالت اباطحه باعناق خيولنا .

كم سامر احبيناه ، والنسيم رخى والروض معطار بحالي شعرنا .

كم ماجد من ملوكنا ، يغضب فتتهز على الرؤوس التيجان من رهيتنا .

كم عالم سعيتم له فما كتم علماً ، ولا رد عن نبع مديه اهدأ .

انذكر يا نهر جارتك الحسناء قرطبة ؟ انذكرهم هناك مليونين في زمان لم تكن به حافلة ولا طائفة ..

ولكنهم يحيون اجمل حياة واكملها .. الماء يصل إلى كل بيت في شبكة تمر بقناطر مرفوعة ثم